

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز بعض المعالم التاريخية للحضارة الأكسومية القديمة ذات الجذور الإفريقية الضاربة في أعماق التاريخ وذلك من خلال الآثار والنقوش والكتابات القديمة التي تم العثور عليها. واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي من أجل الوصول إلى نتائج. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها أن مملكة أكسوم كان لها نظام سياسي وإداري متميز مما أكسبها القوة والمنعة بين الحضارات القديمة المعاصرة _ وكذلك كان لمملكة أكسوم نشاطاً تجارياً بحرياً منفتحاً على العالم في البحر الأحمر والبحر المتوسط، كما أوصت الدراسة الباحثين والمهتمين بأمر الحضارات القديمة بتخصيص دراسات مستقلة عن النظام الاقتصادي أو السياسي لمملكة أكسوم الإثيوبية.

الكلمات المفتاحية :

أكسوم، آثار، إثيوبيا، عيزانا، تجارة .

Abstract

This study aims to highlight some of the historical features of the ancient Aksumite civilization with African roots deep in history, through the antiquities, inscriptions and ancient writings that were found. The study used the descriptive analytical historical method in order to reach the results. The study reached a number of results, the most important of which is that the Kingdom of Aksum had a distinct political and administrative system, which gave it strength and invincibility among the ancient contemporary civilizations. Independent studies of the economic or political system of the Ethiopian kingdom of Aksum.

key words :

Axum, Antiquities, Ethiopia, Aizana, Trade.

المقدمة :

ظهرت حضارة أكسوم في القرن الأول الميلادي وإن كانت جذورها ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، وتوجد عناصرها في الخمسة قرون الأولى السابقة للميلاد، ويسعى علم الآثار إلى تعريف خصائصها المميزة ولكنه لم يتم حتى الآن سوى التحقق من بعض الجوانب القليلة لهذه المملكة، كما أن تصنيف وترتيب المعلومات أبعد ما يكون عن الاكتمال - إذ إن حضارة أكسوم كما هو الحال بالنسبة لجميع الحضارات الأخرى ما هي إلا نتاج لعملية نمو وتطور حدث للإنسان، ساعدتها الأحوال الجغرافية والظروف التاريخية في ذلك، ولا شك أن الإسهام المحلي كان عظيم القدر، إذ إن الحضارة الأكسومية قبل كل شيء ما هي إلا حصيلة جهود لا زالت هويتها العرقية حتى الآن تُكتشف رويداً رويداً من خلال دراسة النقوش واللغة والعادات والتقاليد، ولا زال علم الآثار يزيح النقاب قليلاً عن الطابع الفريد لانجازات أكسوم المادية ولا زال الكثير يتطلب البحث، ولكن ليست هنالك سمة شك في أننا نعلم مسبقاً أن حضارة أكسوم تدين بميزاتها الخاصة لأصولها الإفريقية وبالأخص الحضارة الإثيوبية، لذلك جاءت هذه الدراسة كمحاولة منا لإبراز بعض المعالم عنها باعتبارها من أهم الحضارات الإفريقية القديمة وأغرقها أصالة وعمقاً في جذور التاريخ الإفريقي.

أهمية البحث:

تتمثل في إبراز بعض المعالم التاريخية لحضارة إفريقية قديمة وأصيلة ذات جذور ضاربة في أعماق التاريخ قامت نتيجة لجهود بشري جبار خلد أسس وأنظمة وتراث مجيد يؤكد على أصالة الشعوب الإفريقية وعراقتها بين الأمم القديمة.

أهداف البحث:

1. التعريف بمملكة أكسوم التاريخية.
2. إبراز بعض المعالم الأثرية والتاريخية لمملكة أكسوم.
3. تناول بعض من الجوانب الاقتصادية والسياسية لمملكة أكسوم.
4. شرح كيفية دخول المسيحية لمملكة أكسوم.

مشكلة البحث:

عدم وجود دراسات كثيرة متخصصة في هذا الموضوع - لذلك جاءت الدراسة لتكون إضافة لإثراء المكتبة العربية والإفريقية بمثل هذه الأبحاث لمالك غابرة في التاريخ تستحق الدراسة.

منهجية البحث:

استخدم الباحث منهج البحث التاريخي التحليلي الوصفي من أجل الوصول إلى نتائج وذلك من خلال الاطلاع على المصادر والمراجع التاريخية. مملكة أكسوم

أولاً: فترة ما قبل أكسوم:

نجد أن المناطق الشمالية من إثيوبيا في فترة ما قبل التاريخ حوالي (القرن الخامس قبل الميلاد) لا تبدو مأهولة بالسكان في عصر مبكر من التاريخ ولم يُعرف عنها الكثير، إلا أن المجموعات البشرية تطورت تطوراً مماثلاً لما جرى في بقية القرن الإفريقي - إذ تتشابه الآلات الحجرية التي وجدت في العشرة آلاف سنة الأخيرة قبل الميلاد متمثلة في الأدوات المصنوعة التي ترجع إلى العصر الحجري القديم المتأخر لجنوب إفريقيا، وفي هذه الفترة يبدو أن أقوام من الرعاة عاشوا في هذه المنطقة وقاموا بعمل رسومات لأبقارهم ذات القرون الطويلة ووجدت هذه الرسومات على الصخور الشاهقة الممتدة من شمال إرتريا إلى أرض الحيري⁽¹⁾

بينما يمكن إرجاع تأسيس مدينة أكسوم إلى القرن الثامن قبل الميلاد استناداً إلى أقوال العالم الجغرافي (كلوديوس بطليموس) وبغض النظر عن الحكايات الأسطورية التي كانت تُحكى لا بد من البحث عن المعلومات في سلسلة من الكشوف الأثرية التي أجريت منذ بداية القرن العشرين وهذه المعلومات يمكن أن تساعدنا في بناء تاريخ ما قبل مملكة أكسوم⁽²⁾

ثانياً: حضارة أكسوم من (القرن الأول الميلادي إلى القرن السابع الميلادي):

تقول المصادر الأولية أن تاريخ مملكة أكسوم يمتد من القرن الأول بعد الميلاد إلى فترة تمتد إلى الألف عام وهو يشتمل على حملتين عسكريتين إلى داخل جنوب الجزيرة العربية في القرن الثالث والرابع (حملة مروبي) وخلال النصف الأول من ذلك القرن شهدت مملكة أكسوم دخول المسيحية إليها، وتعتمد معرفتنا للحضارة الأكسومية على مصادر متعددة من كتاب الأزمنة القديمة مثل (بلين) الذي يتحدث عن (أودليس عدولي) وإلى المؤرخين العرب كابن هشام وابن حوقل، إلا أن تلك النصوص غامضة في مجملها ويأتي القدر الأكبر من الأدلة في النقوش المحلية والاكتشافات الأثرية المتزايدة، ومن أهم تلك النقوش نقوش الملك (عيزانا) المنحوتة على الصخور ونقوش أخرى للملك (كالب) وواحد من أبنائه يدعى (وازيبا) باللغة الإغريقية، بالإضافة إلى الكثير من الأدلة المماثلة التي جُمعت خلال العشرين سنة الأخرى، والتي تشتمل على نقوش مدونة على جدران الكهوف تم العثور عليها في إرتريا وهذه الكتابات هي أقدم ما عُثر عليه للعهد الأكسومي ولا ريب في أن الملاحظات الأثرية والحفريات هي المصادر الرئيسية الأولى للحضارة الأكسومية والتي يُمكن أن نوجز معالمها في الآتي⁽³⁾:

الموقع:

يُحدد علم الآثار مملكة أكسوم بأنها عبارة عن مستطيل طويل يبلغ حوالي 300 كم وعرضه حوالي 160 كم، وبين خطى عرض 13 و 17 درجة شمالاً وخطى طول 30 و 40 درجة شرقاً وهي تمتد من الإقليم الذي يقع إلى الشمال من كرن وألاقي في الجنوب ومن أودليس على الساحل إلى مشارف نكازي في الغرب.

كانت مدينة أكسوم هي المملكة التي تحمل نفس الاسم تتمتعان بصيت ذائع في القرن الثالث الميلادي طبقاً لنص من تلك الفترة يُعزى إلى (ماني) الذي يصف تلك المملكة بأنها الثالثة في العالم، كما أن المباني الضخمة وبعض الدلائل المادية الأخرى في المدينة نفسها لا زالت تحتفظ بذكرى عهد تاريخي مجيد وتمثل ذلك في حجر طويل منحوت معروف حتى الآن، وهو عبارة عن مائدة حجرية ضخمة مبنية بقواعد من العروش الكبيرة وقطع من الأعمدة وجدت فيها المدافن الملكية ومُخلفات كثيرة عُثر عليها تحت أثر (بازليقا) منذ القرن الثامن عشر الميلادي بالإضافة إلى الأساطير والمأثورات⁽⁴⁾ وفي بداية القرن العشرين أجرت بعثة ألمانية رسوماً وصوراً فوتوغرافية لكل الآثار المعروفة، ففي الجزء الغربي من المدينة اكتشفوا ثلاثة مُجمعات معمارية عرّفوها (بكيف با قصر) وتمكنت بعض أعمال الحفريات الأثرية اللاحقة خاصة تلك التي أجراها (معهد الآثار الإثيوبي) أن تكتشف المزيد من المباني مُضيفة بذلك ثروة من المعلومات عن المدينة الملكية الأكسومية القديمة⁽⁵⁾ وفي غرب المدينة اكتشفت بعثة المعهد الإثيوبي للآثار في العام (1968م) مُجمعاً معمارياً آخر لآثار وجدت بالقرب من (دنقور) إلى الشمال من طريق غندار وهي عبارة عن مُخلفات قلعة ترجع إلى حوالي القرن السابع الميلادي ووفقاً للروايات المحلية فإن مقبرة ملكة سبأ (بلقيس) تربض تحت هذا التل المكون من التراب والأحجار، وتغطي مُخلفات القلعة المدفونة مساحة تبلغ حوالي ثلاثة آلاف متر مربع وتكون الجدران شكلاً رباعياً غير منتظم يبلغ طول أحد جوانبه 57 متراً ويقل طول الجانب الآخر عنه بمقدار نصف متر، ولا زالت الجدران في وسط الأبنية المتهدمة تقف على طول خمسة أمتار وهنالك أربع مجموعات غير منتظمة في شكل مصفوفة تضم أربعين حجرة تُشكل صحناً مربعاً حول الجزء الرئيسي من القلعة ويقف الجزء الرئيسي من القلاع على قاعدة متعددة الطوابق ارتفاعها (1080) متراً يتكون من سبع حجرات يمكن الصعود إليها عن طريق ثلاثة أدراج (سلالم خارجية) وتفصل هذا المبنى عن المباني الخارجية الثانوية ثلاثة صحنون أخرى تتمثل

في جدران على أجزاء بارزة وأخرى غائرة، وعثر أيضاً على دعامات أكتاف صلبة وقوية في مجموعات ثنائية ورباعية مدفونة في عدة حجرات من المبنى الرئيسي وفي المساكن الإضافية الملحقة به - كما تم اكتشاف ثلاثة أفران من الطوب المحروق في الجانب الغربي من ذلك الموقع وفي إحدى حجرات المباني الإضافية الواقعة إلى الجنوب عُثر على مبنى من الطوب وعليه آثار احتراق ويبدو أنه كان يستخدم للتسخين أو الإحماء⁽⁶⁾ وهنالك بعض القبور الأخرى إلى شرق المدينة عند موقع بازن (Basen) تشبه الأفران على الصخور المنحوتة وبعض هذه المقابر لها أعمدة وأقبية في الأسفل على كل جانب وتحتوي أيضاً على مقبرة مزدوجة بسلم ذي سبع عشرة درجة منحوت من الصخر، وكانت المدينة القديمة تغطي المساحة الواقعة ما بين المسلة الضخمة وموقع (دنقور) وتوجد بعض المعالم الأثرية الأخرى متناحرة تحت السطح مثل:

موقع أودليس:

توجد بعض المخلفات فوق سطح هذا الموقع وهو ليس على الساحل، بل على بُعد أربعة كيلومترات إلى الداخل وتغطي الصخور والرمال والأشجار جزءاً كبيراً من مخلفاته، وما يمكن استخلاصه من الدلائل الموجودة فوق هذا السطح هو أنها تقع على مستطيل طوله 500 متر وعرضه 400 متر على وجه التقريب، وفي بعض الأماكن هنالك من الانقراض ما يدل على المواقع التي كانت تباشر فيها بعض البعثات الأثرية عملها، وإلى الشمال والشرق توجد بعض أجزاء الأعمدة المبعثرة وكميات كبيرة من القواقع وفي عام 1968م نقتب حملة عسكرية بريطانية نزلت بالقرب من ذلك المكان في أطلال هذه المباني ولكن ما تحصل عليه من نتائج لا تختلف كثيراً عن النتائج السابقة⁽⁷⁾

موقع مطرا :

يقع على الهضبة الإرترية وعلى بُعد 135 كيلو متراً مربعاً جنوب أسمرأ ويُعتبر من أقدم المواقع الأثرية في إثيوبيا وتنتمي أجزاؤه السفلى إلى بناء كبير تظهر عليه معالم العصر العربي الجنوبي - وقد قام معهد الآثار الإثيوبي بإجراء حفريات منظمة في موقع مطرا بين عامي (1959-1970م) وقد كشف ما يقرب من نفس الطبقة الأكسومية بعد أن تم اكتشاف وجود أربع (فيللات) كبيرة وثلاثة كنائس مسيحية وحي سكني يضم ثلاثين بيتاً على وجه التقريب والفيللات الأربع من النوع المألوف والتي تتكون من مسكن رئيسي مبني فوق قاعدة تحتية مدرجة ومحاطة بمرافق إضافية كما في المواقع الأخرى، وتوجد أكتاف حجرية مدفونة تحت حجرات المبنى الرئيسي كانت تستخدم كأساسات للأعمدة التي تستند عليها الدهاليز ولا بد أن الأدرج

الرئيسية التي تقود إلى المداخل الرئيسية كانت محمية بسقوف إذ إنه توجد مجموعة من الأدراج ربما كانت تحمل أعمدة خشبية⁽⁸⁾
موقع كوهايتو:

يقع شمال مطرا على ارتفاع 2600 متر توجد فيه العديد من الأطلال ذات الأهمية المعمارية وهنالك عشرة تلال منتشرة في مساحة كبيرة تحتوي على بقايا مبان تنتمي إلى نهاية العهد الأكسومي، وهي في أغلب الظن أجزاء متناثرة من أبنية قديمة _ ويتجه الرأي إلى أن معظم تلك المباني تنتمي إلى كنائس تضاهاي في حجمها تلك التي اكتشفت في مطرا وكل الرسومات التي وجدت على الجدران لها سمات المعمار الأكسومي، وإلى الشرق منها يوجد قبر عمودي منحوت على الصخر يتكون من حجرتين للدفن ويزين أحد طرقي القبر صليب منحوت على الطراز الأكسومي وهنالك أخدود بالقرب من الموقع وجدت فيه أحجار ذات رسوم ملونة منحوتة على أشكال تعبر عن ثيران وجمال وبعض الحيوانات الأخرى⁽⁹⁾

ثالثاً: المدن والأسواق في مملكة أكسوم:

علينا أن نشير هنا إلى أن غالبية المساكن والمباني التي يمكن مشاهدتها فوق سطح الأرض أو التي كشفت عنها الحفريات الأثرية أنها تنتمي إلى العهد الأكسومي المتأخر، غير أنه توجد بعض أنقاض مبان تنتمي إلى فترة سابقة بنيت فوقها مباني الفترة اللاحقة، ولم يكن من غير الميسور تحديد عمر تلك المباني على نحو دقيق _ وهذا يدل على أن الفترة التي تنتمي إليها هذه الآثار لم يكن الوضع فيها مختلفاً كثيراً ويقول مؤلف (دليل الملاحه) في القرن الأول كولوي (Koloe)) إنها بلدة تقع إلى الداخل تمثل المركز الرئيسي لإنتاج العاج، ويصفها أودليس بأنها سوق تجلب العاج من مدينة أولئك الناس الذين يُطلق عليهم (الأكسوميين)، حيث إنه يتم جمع العاج ويجب اعتبار المراكز والمدن الحضرية الأخرى كأسواق وأماكن للتجارة مثل: (أراتو، توكندا، إتش ماري، ديقونم، هجرو، إلخ) وليس من المؤكد أن البيع والشراء كانا يتمان داخل المدينة نفسها ولعل الاحتمال الأكبر هو أن الأعمال التجارية كانت تتم في أطراف المدينة، إذ نعلم أن تلك المدن القديمة لم يكن حولها أسوار ولكننا لا نملك حتى الآن دليلاً قاطعاً على صحة هذا الرأي⁽¹⁰⁾

رابعاً: المعمار الأكسومي :

المميزات الرئيسية للمعمار الأكسومي هي استخدام الحجارة والتخطيط المربع أو المستطيل وتعاقب الأجزاء البارزة والأجزاء الغائرة بانتظام والقواعد السلفية المدرجة التي تقام من فوقها المباني الضخمة، وأسلوب البناء لا يُستخدم فيه أي بلاط غير الطين، وما يلفت النظر حقاً هو أننا نجد هذه السمات في كل مكان تقريباً وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذه القواعد المعمارية

مطبقة في جميع المباني سواءاً أن كانت دينية أم غير دينية وهي تقف جميعها فوق قاعدة مدرجة ذات شكل واحد ويمكن الصعود إليها بواسطة سلالم ضخمة تتكون عادة من سبع مدرجات تحيط بها مرافق إضافية تفصلها عنها أقبية صغيرة _ ونكاد نجزم أن القصور والفيلات كانت تشتمل على طابق فوق الطابق الأرضي على الأقل، ويستخدم الأكسوميون الأخشاب والبناء في أطر الأبواب والنوافذ وفي أمكنه معينة في الحائط، خاصة في أركان الغرف وكانت تلج بعض المفصلات في البناء لتقويته، وكانت الروافد التي تستند عليها أرضيات الغرف في الطوابق العليا أو السقوف التي يرجح أنها كانت مسطحة وكلها من الخشب الخشن تعطي المسلات التي نرى فيها أطراف الروافد البارزة فكرة واضحة عن الممارسات المعمارية في ذلك العهد⁽¹¹⁾

خامساً: الفخار في مملكة أكسوم:

استخدمت مملكة أكسوم الأواني الفخارية التي كانت تستعمل غالباً في الأغراض المنزلية وهي مصنوعة من الطين النضج الأسود أو الأحمر وهنالك العديد من الأواني التي يُصقل السطح الخارجي لها بطلاء طافي غير لامع، وفي أحيان كثيرة يتم صقله بالحجر، وبعضها الآخر نجده مطلياً بمادة حمراء وليست هنالك ما يدل على استخدام العجلة (الدولاب) في صناعة الفخار، وتختلف أحجام تلك الأواني الفخارية من نوع إلى آخر من الأكواب الصغيرة والدنان التي يبلغ ارتفاعها ثمانين سنتيمتراً، وقد تكون الجرار والقصاص والأباريق والمقالي والأحواض والأكواب خالية من الزخارف في بعض الأحيان، وعندما تُزخرف فإن الزخرف غالباً ما يتكون من رسوم هندسية سواء أن كانت محفورة أو مطلية أو مصبوبة أو مختومة، وهي في الغالب الأعم تتكون من زخارف في شكل جبال متدلّية أو خطوط متعرجة أو أقراص مضمومة أو مربعات أو خطوط حلزونية أو أشطرة قصيرة وما إلى الآخر، ومن النادر أن تستوحي الرسوم من الطبيعة، فهنالك بعض الأشكال لسنا بل القمح والطيور والثعابين ولبعض الزخارف معان رمزية واضحة كما في أشكال الأذرع المقولية المضافة إلى حواف الأحواض، ويظهر الصليب المسيحي مرات ومرات على جوانب وحواف وقيعان الأوعية الفخارية⁽¹²⁾

سادساً: المسكوكات في مملكة أكسوم:

للعلة الأكسومية أهمية خاصة إذ إنه من خلالها وحدها يمكن التعرف على أسماء ثمانية عشر ملكاً من ملوك أكسوم، حيث تم العثور على بضعة آلاف من هذه النقود، فالحقول التي تحيط بأكسوم تكشف أثناء حراثتها عن العديد منها لا سيما خلال فصل الأمطار حين تجرف المياه التربة، وأغلب تلك القطع مصنوعة من البرونز ويتراوح حجمها من ثمانية إلى اثنين وعشرين ملم ومرسوم عليها صور ملوك كما تحمل العملة رسوماً شتى، فالعملة التي

تنتمي إلى الملوك الأوائل أنديس Endybis وأفيلاس Aphilas وأوسانس الأول Ousanas وأزيبا (وعيزانا) تحمل قرصاً أو هلالاً وكل النقود التي ضربت بعد اعتناق عيزانا المسيحية تحمل علامة الصليب في الوسط أو الجانب والشعارات مكتوبة باللغة الإغريقية أو الإثيوبية ولا تكتب باللغة الجنوبية العربية، وتختلف صيغة الشعار من وقت لآخر مثل (الصحة والسعادة للشعب) (السلام للشعب) (سوف ينتصر الملك بإذن المسيح) وهكذا يكتب اسم الملك مصحوباً بلقب ملك الأكسوميين أو ملك أكسوم ولكن من الملاحظ لا تحمل النقود تاريخاً مما يفسح المجال لكثير من الحدس والتخمين فيما يتعلق بتصنيفها⁽¹³⁾

سابعا: الكتابة واللغة في مملكة أكسوم:

كانت أول الحروف الأبجدية التي استعملت بإثيوبيا والتي ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد من أصل جنوبي عربي، وهي لغة تشبه اللهجات السامية بجنوب الجزيرة العربية، وترجع النماذج الأولى للخط الإثيوبي الذي تصح تسميته بهذا الاسم إلى القرن الأول الميلادي وتتألف الأبجدية من حروف ساكنة جامدة تشبه شكل اللغة العربية الجنوبية، لكنها أخذت تطور أشكالها الخاصة رويداً رويداً، فأصبحت اللغة تكتب من اليسار إلى اليمين بعد أن كانت تكتب في اتجاهات متغيرة، وكانت تلك النقوش الأولى تُحفر على ألواح من حجر الشست وهي تتضمن عدداً قليلاً من الكلمات اكتشف أقدمها في (مطرا) بإرتريا، كما عُثر على نقش مدون على جسم معدني يرجع إلى القرن الثالث الميلادي يتحدث عن الملك (قادارا) وهو أول نقش باللغة الإثيوبية معروف لدينا ورد فيه ذكر أكسوم، وترجع نقوش الملك العظيم (عيزانا) إلى القرن الرابع الميلادي، والتي ظهرت فيها المقاطع الهجائية لأول مرة والتي أصبحت بعد ذلك بقليل القاعدة المتبعة في الكتابة الإثيوبية ثم أضيفت علامات حروف العلة (الينة) تكملة للحروف الساكنة (الجامدة) لتعبر عن نبرات الصوت المختلفة للغة المنطوقة⁽¹⁴⁾

ثامناً: النظام السياسي في مملكة أكسوم:

ربما كانت أكسوم في البداية مجرد إمارة صغيرة ثم صارت بمرور الزمن الإقليم الرئيسي في مملكة إقطاعية، وقد نسب التاريخ إلى حكامها إنجازات عديدة كان أكثرها إلحاحاً بسط سيطرتهم على دويلات شمال إثيوبيا المُفككة ودمجها في مملكة واحدة، وكان النجاح في ذلك يعتمد على قوة الحاكم الأكسومي والدرجة التي يتفوق بها على أمراء إثيوبيا القديمة، وكان يحدث أحياناً عندما يأتي حاكم جديد إلى العرش يجد لزاماً عليه أن يفتتح حكمه بحملة عسكرية على كافة أقاليم بلاده لكي يفرض على الأقل سلطانه الأسمى على الإمارات⁽¹⁵⁾

كان تأسيس مملكة أكسوم نواة لتأسيس امبراطورية ومنذ نهاية القرن الثاني وحتى بداية القرن الرابع الميلادي اشتركت أكسوم في الصراعات الحربية والدبلوماسية التي دارت بين دويلات جنوب الجزيرة العربية، وعقب ذلك استولت أكسوم على الأقاليم الواقعة بين هضبة تقري (Tigre) ووادي النيل وفي القرن الرابع الميلادي احتلت مملكة مروحي، وكانت المملكة تُقسم إلى أكسوم الأصلية (العاصمة) والدويلات التي تخضع لها والتي كان حكامها خاضعين للملك أكسوم ويدفعون له الجزية - وكان الإغريق يطلقون على عاهل أكسوم لقب (ملك) وكان الملوك الذين يديرون في فلك أكسوم يطلقون عليهم لقب (حكام) أو طغاة أو زعماء قبائل، أما اللقب الأكسومي لكل أولئك فقد كان نجاشي (Negus)) وكانت هذه المملكة تقسم إلى إمارات ومدن وقبائل ولكل واحدة نجاشيها الخاص بالإضافة إلى قادة الجيوش في وقت الحرب، وكان هؤلاء النجاشيون يقومون بالإشراف على عمليات البناء وكان الملوك التابعون يعيشون في منطقة (هضبة تقري وفي إقليم خليج زولا وأقامي وما وراء نهر تكازي) وبعد انتصار الملك عيزانا امتدت تلك الدويلات إلى أرض النوبة العليا ما بين الشلال الرابع وسنار، وكان لهم بعض الملوك التابعين مثل (ملوك جنوب الجزيرة العربية وأرض النوبة العليا وآخرون) وكان أولئك الحكام الوارثين ذوي مرتبة دنيا - وقد تمّ على ذلك المنوال خلق هيئة هرمية حاکمة للسلطة ابتداءً من ملك أكسوم نزولاً إلى زعماء المجتمعات الصغيرة المتفرقة⁽¹⁶⁾ وقد كانت هنالك طريقتان لجمع الجزية فإما أن يرسل الملوك التابعون مثل أبرهة ملك حمير جزية سنوية إلى ملك أكسوم، أو أن يتجول الملك بنفسه مصحوباً بحاشية كبيرة في أنحاء مملكته ليجمع الجزية والزاد وكذلك حكام المدن والولايات كانوا يجمعون الجزية على ذات المنوال، ولم تشتمل المصادر على أي معلومات عن نظام أكسوم الإداري الذي يبدو أنه كان نظاماً غير متطور وكان أقرباء الملك يلعبون دوراً كبيراً في إدارة دفة الأمور، وكانت قيادة الحملات العسكرية توكل إلى الملك نفسه أو لأخيه أو لأحد أقاربه، وكان حكام أكسوم يضعون القبائل المحاربة على طول حدود دولتهم في جنوب الجزيرة العربية مثل قبائل البجة في إقليم ما تليها، بالإضافة إلى أن الملك كان يُحيط نفسه بحاشية مسلحة تتكون في وقت السلم من بلاطه - إلا أنه في عهد الملك عيزانا حدث شيء من التطور في النظام الإداري فقد وضحت شكل من أشكال المركزية بعد أن انحصر نشاطه في إخضاع وأسر الملوك التابعين والمتمردين الذين كانوا قد ورثوا الحكم في إمارات مختلفة⁽¹⁷⁾

تاسعاً: النظام الاقتصادي في مملكة أكسوم:

خلال العهد الأكسومي كانت الزراعة وتربية الماشية هي عماد الحياة الاقتصادية ولكن يبدو أنه خلال العهد تطور الوضع قليلاً في عصور لاحقة في اتجاهين متميزين:

الأول: تشير كل المصادر القديمة إلى أن التجارة البحرية ازدهرت في البحر الأحمر خلال القرن الأول والثاني وهذا يعزى إلى الانتشار الروماني في المنطقة الذي مهد له تطور الملاحة - وازدياد العلاقات التجارية حيث كانت السفن تجلب البضائع وتجعل من الممكن الاتجار مع بلدان البحر الأبيض والهند وكانت أودليس نقطة الالتقاء للتجارة البحرية وكان ذاك هو الاتجاه الثاني للتقى التجارة الداخلية⁽¹⁸⁾

وفي داخل القارة كانت هنالك تجارة آخذة في النمو هي تجارة العاج حيث كانت أكسوم تُمثل نقطة التجمع الكبيرة للعاج، وقد كانت سلعة لا غناء عنها بالذات للرومان المحبين للبذخ، وكانت الأفيال الإثيوبية ذات قيمة كبيرة منذ عهد البطالمة إذ كانت الجيوش تستخدمها كنوع من الدبابات وعندما تموت تستخدم أنيابها، وكذلك جلد فرس البحر وقرن الكركدن وذيل دروع السلاحف بالإضافة إلى الذهب والرقيق والتوابل⁽¹⁹⁾

كان للدور الذي كانت تلعبه مملكة أكسوم في التجارة الدولية جعل منها أن تكون دولة تجارية من الطراز الأول وتدل على ذلك العملة الذهبية والفضية والنحاسية التي كانت تضرب لذلك الغرض، وعلى الرغم من أن الإنتاج المنزلي كان هو الأغلب فإن هنالك صلة ما بين الأهمية الإنتاجية والتجارية لأكسوم، فكانت السلع التي تصدرها أكسوم بالاطلاع على روايات الكتاب الرومان تشمل النسيج والعاج وقرن الخرتيت وجلود فرس البحر والقرود وكذلك الرقيق (كتاب دليل الملاحة في البحر الأحمر) وكذلك التبر كان أحد الصادرات الأكسومية وأن العطور والذهب والعاج والحيوانات كانت تصدر خارج إثيوبيا وأن الأكسوميين كانوا يحصلون على الزمرد من البليميين (Blemmyen) في صحراء النوبة ويصدرونه إلى شمال الهند لتسويقه هناك⁽²⁰⁾ والبضائع التي تم حصرها باستثناء الذهب والزمرد كلها من الأشياء التي يتم الحصول عليها عن طريق الصيد والقنص - ولم ترد الإشارة إلى المنتجات الزراعية ومنتجات الألبان والأدوات التي يقوم بإنتاجها الصناع والحرفيون وإن وجد ذلك فكان يتم بكميات محدودة، ويبدو أنه بالإمكان معرفة الكثير عن السلع التي تستوردها مملكة أكسوم من خارج حدودها والتي كان يقوم بصناعتها حرفيون أجانب مثل قماش خشن غير ممشط يصنع في مصر للبرابرة وعباءة مقلدة مصبوغة ومنشفة والعديد من الأدوات المصنوعة من الزجاج الشفاف وأواني حجر فاخر وكذلك الفؤوس والأوعية النحاسية المستديرة الضخمة، وبعض الدنانير ومقادير قليلة من النبيذ وزيت الزيتون اللازق، ويجلبون أيضاً أواني فضية وذهبية مصنوعة على الطريقة المحلية لاستعمال خاص بالملك⁽²¹⁾ ولم تؤد هذه المكاسب والسلع في المملكة إلى إثراء طبقة النبلاء فحسب بل امتدت إلى الجماعات المتميزة من المواطنين الذين كانوا يشكلون مجتمع العاصمة، لذلك

استقر التجار الأجانب وأصحاب الجاليات الأجنبية الأخرى في أودليس وأكسوم وغيرها من المدن الإثيوبية، وكانوا يجلبون كميات من البضائع المستوردة وكان النبيذ وزيت الزيتون يجدان رواجاً خاصاً بين كل الجاليات، ومن الجلي أن الأدوات التي عُثر عليها في الحفريات الأثرية مثل الميزان والأوزان والأختام وقطع العملة الكوشية والرومية هي من مخلفات التجار الرومان والهنود الذين كانوا يعيشون في أودليس وأكسوم، وكان الحكام يملكون قطعاً ضخمة من المواشي وتشير نقوش الملك عيزانا إلى الأسلاب التي غنمها الأكسوميون في حملتين في أفانا (Afan) والنوبة التي بلغت في مجموعها أكثر من 32,000 رأس من الأبقار وما يربو على 500 من الضأن بالإضافة لبعض الحيوانات الأخرى، ولكن لا ندري ما إذا كانت تلك الغنائم تشكل نصيب الجيش كله أم نصيب الملك وحده إلا أن الاحتمال الأخير أكثر وروداً⁽²²⁾

عاشراً: النظام الثقافي في مملكة أكسوم :

توجد رموز للشمس والقمر على مسلات أكسوم ومطرا وأنزا، وفي نقوش الملك عيزانا الوثنية فإن الإله أريس (Ares) كان يُعتبر إلهاً للحرب وتبعاً لذلك فإن (صنوه محرم) كان يعتبر إلهاً للحرب هو الآخر وأنه لا يقوى أعداؤه على هزيمته وأنه يحقق النصر وكذلك هو إله الحرب والعرش، وكان يسيطر على الآلهة السماوية والأرضية، كما يسيطر العاهل المعترف به على رعيته وفي ذات الوقت كانت الحرب التي يعتبرها (محرم) تجسيدا لها تطغي على النشاط السلمي، وكان ينظر إليها أنها عمل مقدس وأكثر شرفاً من كل الفلاحين، وما يمكن ملاحظته بجلاء في دين أكسوم السمات المميزة لأيدولوجية الطبقة المبكرة وهي أيدولوجية مجتمع إقطاعي في مرحلة تكوينه الأول، وكان الأكسوميون يُقدّمون القرابين لألهتهم وكانت الحيوانات المستأنسة تمثل غالبية تلك القرابين، وورد في أحد نقوش الملك عيزانا أن اثني عشر ثوراً نحرت للإله محرم في قربان واحد وأن الأبقار والنعاج العقيمة كانت هي القرابين الأكثر انتشاراً، ونجد النصوص الأخرى أشارت إلى ذبح البهائم وكذلك احتلت عبادة الأسلاف مكاناً مهماً في دين الأكسوميين، وكان من المألوف تشييد المسلات لهم ومسألة تعبدتهم هذه شبيهة بشعائر الطواف حول الكعبة، وكانت القرابين تجلب إلى المذابح وإلى قواعد المسلات المنحوتة في شكل مذابح ثم يصب دم القرابين في فجوات تشبه القصاع، وكانت قبور الأكسوميين تعتبر القواعد المقدسة في المدينة وتدل الأوعية والأدوات الأخرى التي عثر عليها في المدافن أنهم كانوا يعتقدون في حياة ما بعد الممات، ومع أن المعلومات عن دين الأكسوميين لا زالت شحيحة ومقتضبة، ففي الإمكان القول بأنه دين متطور نسبياً ومرتبطة بشعائر معقدة ونظام كهنوتي معقد هو الآخر، ونتيجة للأثر الذي أحدثته المسيحية والأديان التوحيدية الأخرى في إثيوبيا والجزيرة العربية، استحدث أهل

تلك البلاد نظرة تعبدية خاصة بهم وجدت في بعض النصوص باللغة الجعزية (Geez) فعلى سبيل المثال نقوش الملك عيزانا التي تورد أخبار الحملة النوبية، ونتيجة للمؤثرات الثقافية والأجنبية كانت الثقافة الأكسومية ذات صبغة عالمية، فقد كانت اللغة الإغريقية تستعمل جنباً إلى جنب مع اللغة الجعزية كلغة دولة - ويبدو أن الملوك أمثال (زا وهياكلي وعيزانا) كانوا يتكلمون اليونانية⁽²³⁾

11- انتشار المسيحية في مملكة أكسوم:

هنالك اعتراف بأن المسيحية دخلت وانتشرت في إثيوبيا على يد المطران (فرومنتئوس) والملكين الأخوين (أبرهة وأصبحه) وهذا ما تؤكد جميع المصادر المحلية، ومن الحقائق القريبة في الأمر عدم وجود أي أثر في مختلف النصوص التي ترجع لهذه الفترة المكتوبة قبل نهاية القرن التاسع لاسم عيزانا، الذي يبدو أنه كان الاسم الوثني للملك كما أنه لا يوجد أي مسكوك أو مكتوب نقش يحمل اسم أبرهة الذي يفترض أنه اسم التعميد للملك، لذلك فإنه لدينا اسمين مختلفين لنفس الشخص الذي كان شبيهاً بقسطنطين الأكبر من حيث كونه نصف وثني ونصف مسيحي خلال توليته العرش، بينما يعتبر البعض أن أبرهة هو اسم التعميد للملك عيزانا، فإن النقش الشهير الذي كتب باللغة الجعزية التي تبين حركات النطق والمسجل تحت الرقم N.11 في سجلات البعثة الأثرية الألمانية (ب. أ. أ. D.A.E) الذي يعتبره جمهور الباحثين الإثيوبيين أنه نقش يعود لأيام انتقال هذا الملك للمسيحية⁽²⁴⁾

حيث كانت مملكة أكسوم يحكمها ثالثوث ثيوقراطي يتكون من (أبرهة، أصبحه، وسلامة) والآخر هو الاسم الذي يطلقه رجال الكنيسة على أفرومنتئوس) وكما يبدو أن أول تبشير بالدين الجديد لقي ترحاباً من بعض السكان الذين تربطهم بالبلاط عوامل إثنية وثقافية مثل السبتيين والأحباش والحمريين ذوي الأصل السامي وهم أسلاف التجري والأمهرين الذين تقبلوا دين ملوكهم بلا صعوبة، وبعد دخول المسيحية وبازدياد عدد مُعتنقيها تكاثرت الرحلات إلى الأراضي المقدسة فكان انتشار المسيحية في مملكة أكسوم خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين نتيجة جهد رجال الكنيسة الذين تصفهم النصوص التقليدية بأنهم صادقون وعادلون⁽²⁵⁾

على أن الفضل الرئيسي في انتشار المسيحية لم يكن راجعاً إلى هؤلاء الرهبان وحدهم من الامبراطورية، فلا ريب أن هنالك مئات الرهبان من الوطنيين والأجانب قد ساعدوا على نشر العقيدة المسيحية تحت إرشاد العديد من المطاعنة مثل الشهير (أبا مطاعي) وإن لم تُحظْ أسماؤهم بالذكر في الحوليات التاريخية مثلما حدث مع القديسين التسعة. فبدأت المسيحية في المناطق الشمالية ثم تغلغت إلى مقاطعات أخرى مثل يجمدو وجوجام وشوا بين جماعات السكان من البجة والأمهرة، وأفادت في انتشارها إلى الدعم المتفاني

من الملوك والملكات والأمراء والحكام وكبار رجال الكنيسة الذين دأبوا على بناء الكثير من الكنائس والأديرة في أماكن ازدهار العقائد المسيحية⁽²⁶⁾

النتائج والتوصيات :

أولاً: النتائج:

1. يرجع تاريخ قيام مملكة أكسوم القديمة إلى عصور ما قبل الميلاد (القرن الثامن قبل الميلاد).
2. يُحدد علم الآثار موقع مملكة أكسوم بأنها شرق إفريقيا وهي عبارة عن مستطيل يبلغ طوله حوالي 300 كم وعرضه حوالي 160 كم بخطوط طول واضحة ومحددة في الشرق والشمال.
3. أهم المواقع الأثرية لحضارة أكسوم هي (أودليس، مطرا، كوهايتو)
4. شهدت مملكة أكسوم قيام الكثير من المدن الحضرية التي تعمل كأسواق للتجارة مثل مدن (أراتو، توكندا، إتش هاري، ديقونم إلخ)
5. عرفت مملكة أكسوم معماراً مميزاً تمثل في البناء بالحجارة والخشب بالإضافة إلى استخدام الفخار وفن الرسم والزخرفة في الصناعات المحلية.
6. تعتبر مملكة أكسوم مملكة مستقلة لها نفوذها وسلطانها ودليلنا على ذلك تم العثور على المسكوكات والنقود التي عليها صور حكامها وملوكها.
7. كان لمملكة أكسوم نظاماً إدارياً وسياسياً محكماً أكسبها القوة والمنعة ووضح ذلك من خلال سعي ملوكها الدائم للبحث عن السيطرة وبسط النفوذ خارج حدودهم، ثم تقسيم المملكة إلى إمارات ومدن.
8. اعتمدت مملكة أكسوم في نشاطها الاقتصادي على التجارة التي ازدهرت في حوض البحر الأحمر، خاصةً بعد أن تطورت ملاحظتها في جلب البضاعة من البحر المتوسط والهند بالإضافة إلى حرفة الزراعة والرعي.
9. يُعتبر الملك (عيزانا) أشهر ملوك مملكة أكسوم إذ شهدت البلاد في عهده العديد من الإنجازات أهمها غزوة لحضارة مروي الكوشية في منتصف القرن (الرابع الميلادي).
10. دخلت المسيحية مملكة أكسوم على يد المطران (فرومنتيوس) والملكين الأخوين (أبرهة وأصبجة) وهذا ما تؤكدُه أغلب المصادر المحلية ثم انتشرت بعد ذلك في أنحاء المملكة ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين بمجهودات بعض الرهبان من الوطنيين والأجانب.

ثانياً: التوصيات:

1. أوصى الباحثون والمهتمون بتخصيص دراسات منفصلة عن النظام الاقتصادي أو السياسي لمملكة أكسوم.
2. تخصيص دراسة خاصة للملك الأكسومي (عيزانا)

المصادر والمراجع

- (1) اليونسكو : تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني (حضارات إفريقيا القديمة) إشراف: د.جما مُختار، ط 1985م، ص 345 .
- (2) نفس المرجع : ص 346.
- (3) Claudius Ptolemy.1932:H.de.Contenson.1960.pp 77.79
- (4) Ibid.p80
- (5) Ibid.p81
- (6) Puny:H.Decontenson.1960.pp77
- (7) Ibid.p79
- (8) اليونسكو : مرجع سابق، ص(370-371)
- (9) نفس المرجع : ص(372-374)
- (10) Puny:H.Decontenson.1960.pp82
- (11) Ibid.p83
- (12) اليونسكو : مرجع سابق، ص(374، 375)
- (13) نفس المرجع : ص 382.
- (14) نفس المرجع : ص 382.
- (15) Corpus in Scrip piton Semitic can rum Academies in
- (16) Scriptionum Pars Guard- Paris is
- (17) Ibid.p387
- (18) Ibid.p388
- (19) E.O.Winstedt- Cambridge 1959 pp 74,77
- (20) Ibid.p83
- (21) اليونسكو : مرجع سابق، ص(401 _____ 402)
- (22) J.p.Migne, Paris 1884-p635
- (23) D.A.E Monumental Adulate of Commas' p77
- (24) D.A.E -226-18-
- (25) Wilfred H. Scoff-New-York, London, Barbary
- (26) and Calcutta 1912 pp-6067-
- (27) E. Corelli Roma 1943 pp12-
- (28) اليونسكو : مرجع سابق، ص(413 - 418)